مقدمة السلسلة

لا تكاد تخلو جلسة تربوية – تجمع التربويين – من الحديث عن الشعور بأزمة التعليم المصرى، وفشله فى تحقيق طموحات الشعب من هذا التعليم.

ورغم اختلاف وجهات النظر فى سبب هذه الأزمة وتاريخها والعوامل المساعدة عليها، إلا أن هناك ما يشبه الإجماع على أن التعليم المصرى بصورته الحالية لم يحقق للإنسان المصرى توقعاته من هذا التعليم.

ولقد أحسنت «**دار النشر للجامعات**» صنعًا أن عزمت على إصدار سلسلة من الكتابات الصغيرة التى تتناول قضية محددة، وتحاول أن تلقى عليها الضوء بحيث تخدم تلك القضية فى إثارة المياه التربوية الراكدة، وتقدم ما يمكن أن يسهم فى إعادة التفكير فى الواقع التربوى المتأزم، وكيفية الخروج منه. وقد رأت الدار أن تكون تلك الكتابات جامعة بين الرصانة العلمية، واليسر فى توصيل الآراء لأكبر عدد ممكن من مثقفى الأمة وقرائها.

كذلك حرصت الدار أن تأتى تلك السلسلة بأقلام أساتذة التربية أنفسهم، فهم أدرى الناس بشعاب مكة، على أن يحمل كل كتاب من السلسلة رسالة تربوية محددة المعالم، وليس مجرد عمل أكاديمى بحت.

ولقد سعدت بفكرة هذه السلسلة التربوية الجديدة، التى تصدرها دار نشر تبحث عن رسالة علمية تربوية تقدمها لمصر وللعالم العربى

والإسلامى، ورحبت أن أقدم لها هذا الكتاب بتلك المقدمة المتواضعة، مهيباً بكل الزملاء المحبين لمصر ولعالمنا العربى الإسلامى، الراغبين فى تحقيق النهضة والتقدم والازدهار لنا وللعالم من حولنا، أن يكتبوا فى تلك السلسلة، وأن يرفدوها باستمرار بما لديهم من أفكار ومقترحات، حتى تقوم تلك السلسلة بدورها فى إيجاد وعى تربوى مغاير، يسهم فى خروجنا من هذا المأزق الحضارى الذى أوقعتنا فيه تربية تفرق ولا توجد، توهن ولا تقوى، تفسد ولا تصلح، تزدرى الماضى وتتجاهل الحاضر، ولا تسهم فى صناعة المستقبل، ولا ترجع منها إلا بخفى حنين.

وأنا وأثق أن بيننا الكثير من الشرفاء، والكثير من المحبين لمصر وللعالم العربى والإسلامى، والذين سوف يحرصون على أن يظل هذا اللواء مرفوعاً، يمد الجسد التربوى بالدماء الحارة المتجددة إلى أن يعود لمصر وجهها المشرق الوضاء، ويعود للعالم العربى والإسلامى وزنه ودوره الحضارى العالمى المنشود.

وفقنا الله جميعاً لخدمة الحق والحقيقة، وجعلنا من رواد الحق والباحثين عنه والناشرين له فى الآفاق، وإلى لقاءات علمية متجددة من خلال كتابات تلك السلسلة.

أ.د/ عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب
كلية التربية - جامعة المنصورة

مقدمة الكتاب

هذه دراسة تتناول موضوعًا جديدًا يدور حول التعليم المنزلى Homeschooling فى الولايات المتحدة الأمريكية وموقف الأقلية المسلمة منه. والولايات المتحدة من أول الدول التى أخذت بهذا النوع من التعليم، والذى يعتمد على قيام الوالدين بتعليم أطفالهم فى المنزل بين سن السادسة إلى سن الثامنة عشر. وهذا التعليم المنزلى يحل محل الحضور التام فى المدرسة الرسمية - ولقد كان چون هولت John Holt فى السبعينات من القرن العشرين رائدًا لهذا المدخل التعليمى، وظل يناضل من أجل إيجاد مكان لمدخله فى الواقع الأمريكى. لقد كان هولت يعتقد أن مدخل التعليم المنزلى هو الذى يتناسب مع التقدم التكنولوچى الذى يشهده العالم المعاصر، حيث إن هذا العالم يتسم بأن به سوق عمل سريع التغير، وهذا فى ذاته يتطلب من التربية أن تغير نفسها بشكل سريع، وهذا يجعل التعليم المنزلى من أنسب المداخل لملاحقة هذا التغير السريع. فبيئة التعليم المنزلى المختلطة الأعمار والمختلطة القدرات هى أكثر مشابهة لسوق العمل من الفصل الدراسى ذى الصف الواحد. فضلاً عن الوقت الطويل الضائع فى المدارس لأغراض غير تربوية بهدف الحفاظ على النظام والروتين المدرسى ... إلخ.

لقد شعر Jon Holt أن فضول ورغبة الأطفال الطبيعية للتعلم قد تم تدميرها بسبب الطرق التقليدية للتدريس. وكتب فى كتابه « درس لأطفالك » ما يلى: « ما يحتاجه الأطفال ليس منهجًا جديدًا وأفضل،

ولكن المساعدة لعالم أكثر واقعية، ويحتاج وفرة من الوقت والمكان للتفكير فى خبراته، واستخدام الخيال لتأليف معانى تتعلق بهذه الخبرات، وخرائط ونصائح للطرق وكتب إرشادية كى نجعل الوضع أيسر لهم ليحققوا ما يريدون أن يحققوا (وليس ما نريده نحن) ويكتشفون ما يريدون أن يكتشفوا ومن خلال التعليم المنزلى Home schooling يوفر الوالدان مساندة وتشجيع من خلال توفير بيئة غنية من الموارد وإشراك أطفالهم فى العالم الواقعى من خلال الحياة الأسرية وأنشطة المجتمع. فالوالدين يقدمان نماذج للتعلم طوال الحياة من خلال المشاركة فى الكتب الجيدة والموسيقى والأحداث الجارية... إلخ».

ولقد استطاع هذا المدخل التعليمى بفضل جهود رواده أن يحصل على الاعتراف القانونى داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وأصبح من حق الوالدين أن يسجلا رغبتهما الرسمية فى تعليم أطفالهم وفق هذا النظام، وأن يكون لأولادهم حق التمتع بالخدمات التربوية التى تقدمها المدارس وفق شروط معينة، وأن يحصلوا على الشهادات المعتمدة وفق مستواهم العلمى، وأن يطول هذا التعليم ويمتد حتى نهاية التعليم ما قبل الجامعى، أو يقتصر ويتوقف عند أى مرحلة ليلتحق الطفل بالمرحلة التعليمية الرسمية المناسبة لسنه وآدائه التعليمى دون أى عوائق. ولقد رعت السلطات التعليمية بالولايات المتحدة هذا النوع من التعليم واعترفت به وقدمت له الخدمات التربوية والتعليمية والقانونية بحيث ازدادت أعداد الأسر التى تأخذ به عاماً بعد عام بنسبة تتراوح بين ١٠ – ١٥٪ كل عام كما تذكر الدراسات التى أجريت على هذا النوع من التعليم.

ومما ساعد على نجاح هذا النوع من التعليم هذا المناخ الديمقراطى العام الذى يعطى المواطن الحق الكامل فى أن يتعلم كما يشاء، مع الاحتفاظ بقدر مشترك فى الثقافة الأمريكية ومستوى معين من المعرفة بالعلوم اللازمة لكل مواطن. يضاف إلى ذلك وفرة التسهيلات والإمكانات العلمية والتربوية التى يوفرها المجتمع الأمريكى لأبنائه من أندية علمية، ومواقع معلومات على الإنترنت، وكتب تعليم منزلى، ومدارس بالمراسلة وخدمات تربوية ونفسية عديدة تقدم لرعاية الأطفال فى مختلف الأعمار. وقد عرضت الدراسة لهذا كله، وأشارت إلى أن تلك التجربة الأمريكية قد انتقلت إلى كثير من الدول، على تفاوت كبير فيما بينها فى مدى اهتمامها بهذا النوع من التعليم فبينما اهتمت بعض الدول بهذا النوع من التعليم بشكل كبير وأقامت له مؤسسات ومواقع وخدمات خطية ومصادر معلومات وغير ذلك مما يحتاج إليه القائمون بالتعليم المنزلى مثل إستراليا ونيوزلاند وجنوب أفريقيا، فإن دولاً أخرى قد بدأت تهتم به بصورة غير واسعة مثل إنجلترا وويلز واليابان. وهناك دول فى بداية الاهتمام بهذا النوع من التعليم مثل فرنسا وإيطاليا والسويد والصين. كما لاحظ الباحث أن معظم الدول التى أخذت بهذا النظام من الدول الرأسمالية، وإن كانت الصين من الدول التى بدأت تهتم بهذا النوع من التعليم رغم اتجاهها الشمولى، وأن هذه الدول تغطى جميع قارات العالم ماعدا أمريكا الجنوبية. ولقد غاب عن الباحث أن يتوقف طويلاً أمام حقيقة أن هذا النوع من التعليم يحتاج لنجاح تطبيقه إلى أسر ذات مستوى تعليمى معين يمكنها من تقديم الرعاية التربوية والتعليمية لأبنائها، كما يحتاج

إلى أسر ذات مستوى اقتصادى مناسب يمكنها من توفير الخدمات التربوية لأطفالها، ولقد أشار إلى ذلك إشارة عابرة ولكنه لم يعطها حقها من التحليل والتوضيح. وإلا فهل تستطيع معظم الأسر السوداء فى أمريكا وهم غالبًا محدودو الثقافة ومحدودو الدخل أن يوفروا مثل هذا النوع من التعليم لأولادهم ، وإذا حاولوا ذلك فهل سيحققون نفس النتائج التى تحققها الأسر الثرية ذات الأصول الأنجلو بيضاء ذات الخلفية العنصرية العرقية!

كذلك أشارت الدراسة إلى موقف الأقلية اليهودية والإسلامية من هذا النوع من التعليم ومدى استعادتها منه. ولعل الجانب العقائدى والدينى والأخلاقى هو الذى دفع الأسر اليهودية والأسر المسلمة للأخذ بهذا النوع من التعليم، ولعل هذا العامل قد احتل لدى الأقلية المسلمة بالذات أهمية بارزة لاختلاف القيم والثقافة الإسلامية عن معظم القيم ومظاهر الثقافة الأمريكية السائدة فى المدارس الأمريكية، ولكن الدراسة أيضًا لم تتسع لنوع من المقارنة بين مدى استفادة الأقلية اليهودية والأقلية المسلمة من هذا النوع من التعليم، ولكن يكفى الدراسة الحالية أن تثير الانتباه إلى هذا النوع من التعليم فى الولايات المتحدة وغيرها من دول العالم.

وأخيراً ففى ظل الأوضاع المتردية لمدارسنا الحكومية، والارتفاع الجنونى لرسوم المدارس الخاصة والأجنبية، وطغيان موجة الدروس الخصوصية داخل المجتمع المصرى، بحيث اضطرت الكثير من الأسر المصرية إلى دفع مبالغ طائلة للدروس الخصوصية، أو إدخال أولادها فى التعليم الخاص أو هما معًا: المدارس الخاصة والأجنبية والدروس الخصوصية، أقول – في ظل هذه

الأوضاع التعليمية المتردية هل ترتفع الأصوات فى مصر مطالبة بالأخذ بهذا النظام من التعليم الذى يحل محل المدرسة الرسمية والخاصة وما يلحق بهما من إعطاء الدروس الخصوصية وأيضًا ففى ظل الشكوى المرة مما أصبحت تلج به المدارس المصرية من تردى أخلاقى وتسيب، بحيث أصبحت بعض الأسر تخاف على أولادها بالفصل من قرناء السوء فى المدرسة، وتشعر بأن المدارس بوضعها الحالى لم تعد بيئة صالحة مأمونة لتربية أطفالها. بل لقد أصبح «التدين» أحيانًا تهمة يعاقب عليها الأبناء ويوسمون بسببها بالتطرف والإرهاب؛ أقول هل يكون ذلك المناخ أيضًا من مبررات الدعوة إلى الأخذ بهذا النوع من التعليم فى مصر؟ وإذا قدر لهذا النوع من التعليم أن يأخذ طريقه إلى مصر - خاصة وهو منتج أمريكى - فهل تستطيع معظم الأسر المصرية أن تقدم لأبنائها ميراث هذا التعليم؛ أم أن المستوى التعليمى المتدنى لمعظم الوالدين، والمستوى الاقتصادى الهابط لمعظم الأسر المصرية يحول دون ذلك؛ ولا يترك أمامها أى مجال لحرية الاختيار سوى الرضا بهذا النوع من التعليم الرسمى، أو هذا النوع من التعليم الخاص أو الأجنبى، وهذا الشبح المخيف من الدروس الخصوصية.

أسئلة كثيرة تثيرها قراءة مثل هذا الكتاب الذى بين يدى القراء. ومتروك إجابتها لأبناء هذا الشعب ورواده ومفكريه التربويين.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أ.د/ عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب